

## الفسقية والميضأة فى نصوص ونقوش مصر الإسلامية

أحمد عبد الرازق أحمد

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على عنصر معمارى هام احتل دائما مركز صحن العماائر الدينية من جوامع ومساجد ومدارس وخانقاوات وزوايا، مثلما احتل وسط دور قاعة أو فناء بعض المنشآت المدنية والتجارية من دور وقصور وقاعات وخانات ووكلات وغيرها، عرف فى المصادر التاريخية والوثائق الأثرية تحت عدة مسميات أهمها:

الفوارة،<sup>(١)</sup> والفسقية،<sup>(٢)</sup> والبركة،<sup>(٣)</sup> والحوض،<sup>(٤)</sup> والبحرة،<sup>(٥)</sup> وأطلق عليه بعض الباحثين فى مجال العمارة الإسلامية عند تناولهم للمنشآت الدينية خطأ مسمى الميضأة،<sup>(٦)</sup> رغم الفرق الشاسع بين اللفظتين، لذلك نرى لزما علينا أن نبدأ بتعريف معنى الفوارة ومرادفاتها قبل التطرق إلى تعريف الميضأة ومفهومها ووظيفتها.

والفوارة أو النافورة تعنى لغويا وأثرىا أنبوب ضيق من نحاس أو رصاص أو قصب يتوسط حوض مربع أو مستطيل أو مثنى أو مستدير، يتصل بخزان ماء بعيد أو قريب، مرتفع مما يجعل الماء يندفع بقوة من الفوارة ويعلو بعيداً عن مستواه فى الحوض، ثم يعود متساقطا فيه لينتهى فى قنوات خاصة.<sup>(٧)</sup> ومن قبيل تسمية الكل باسم الجزء أطلقت هذه اللفظة أيضا على كل من الفسقية والبركة والحوض والبحرة التى كانت تعنى جميعها المكان المخصص لاستقبال ماء الفوارة، فقد روت المصادر التاريخية ان أحمد بن طولون عندما شيد مسجده فى رمضان سنة ٢٦٥ هـ/ مايو ٨٧٩م. أقام بوسط صحن الجامع فوارة ألزم الأولاد بصلاة الجمعة فيها.<sup>(٨)</sup> وروت أيضا أنه فى ليلة الخميس لعشرخلون من

(١) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٢٩؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٩٠، ص ٨٧.

(٢) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٢٩٨-٣٠٠؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات، ص ٨٥. و من المعروف أن الفسقية تعنى أيضا محل دفن الميت، مثلما تعنى الجزء الفاسط من البيت المملوكى خاصة الطبقة أو ما يلى الدهاليز المؤدية للأروقة والقاعات.

(٣) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٨٤؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات، ص ٢١.

(٤) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ١٤٥-١٤٦؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات، ص ٣٨.

(٥) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٧٨؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات، ص ٢٠.

(٦) فريد شافعى، العمارة العربية فى مصر الإسلامية، عصر الولاة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٤١٣-٤١٤؛ محمد محمد أمين وليلى على إبراهيم، المصطلحات، ص ١١٨.

(٧) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٢٩٩.

(٨) ابن دقماق، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٩٨٣، ج ٤، ص ١٢٣؛ المقرئى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨.

جمادى الأولى سنة ٣٧٦ هـ/ ١٧ سبتمبر ٩٨٦م. احترقت الفوارة التى بوسط الجامع الطولونى وكانت مشبكة من جميع جوانبها وفوقها قبة مذهب على عشرة عمد رخام، وستة عشر عمود رخام فى جوانبها، مفروشة كلها بالرخام، وتحت القبة قصعة رخام فسحتها أربعة أزرع، فى وسطها فوارة تغور بالماء، وعلى سطحها علامات الزوال، وسطحها بدرابزين ساج، فأحترق جميع ذلك فى ساعة واحدة، فأمر الخليفة الفاطمى العزيز بالله، أو أمه السيدة/ تغريد ببناء فوارة أخرى، عوضا عن التى احترقت فى المحرم سنة ٣٨٥ هـ/ فبراير ٩٩٥م.، فعمل ذلك على يد راشد الخفيفى، وتولى عماراتها ابن الرومية وابن البناء<sup>(٩)</sup> بيد أنها احترقت بدورها وأقيم مكانها البناء الحالى ضمن الإصلاحات التى قام بها السلطان المملوكى حسام الدين لاجين فى الجامع سنة ٦٩٦ هـ/ ١٢٩٦م.<sup>(١٠)</sup> أطلق عليه اسم الفسقية كما جاء فى الكتابة الأثرية المنقوشة على لوح خشبى مثبت فوق قبتها "نصها" أمر بإنشاء هذه القبة المباركة والفسقية والساعات الشريفة مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدنيا والدين لاجين المنصورى فى سنة ست وتسعين وستمائة (١٢٩٦م).<sup>(١١)</sup> وهذه الفسقية عبارة عن بناء طول ضلعيه الشمالى والجنوبى ١٢,٧٥ مترا، والشرقى والغربى ١٤,١٠ مترا، مزود بأربعة مداخل محورية، يعلو كل مدخل عقد مدبب ذو مركزين، ويغطى البناء قبة ذات قطاع مدبب، يبلغ ارتفاعها من أرضية الصحن إلى نهاية قمته ما يقرب من ثلاثة وثلاثين مترا، ترتكز فوق أربعة صفوف من المقرنصات، تحول المربع إلى مثنى، تستند عليه دائرة القبة، التى نقشت رقبته الداخلية بأية قرآنية من سورة المائدة، بخط النسخ المملوكى تشير إلى الموضوع.<sup>(١٢)</sup>

وأطلقت المصادر التاريخية لفظة الفوارة والفسقية أيضا على ذلك العنصر الذى أضيف لأول مرة إلى جامع عمرو بن العاص على يد الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس بأمر من الخليفة العزيز بالله الفاطمى الذى أمر فى سنة ٣٧٨ هـ ٩٨٨م. بعمل الفوارة تحت قبة بيت المال، فعملت وفرغ منها فى شهر رجب سنة ٣٧٩ هـ/ أكتوبر ٩٨٩م. ونصب فيها الحباب الرخام التى يخرج منها الماء.<sup>(١٣)</sup> وأشارت كذلك إلى أن السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م.) أمر بإبطال

(٩) ابن دقماق، الإنتصار، ج ٤، ص ١٢٣، المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٦٧-٢٦٨؛ القلقشندى، صبح الأعشى فى

صناعة الإنشاء، القاهرة ١٩١٤-١٩٢٨، ج ٣، ص ٣٣٥؛ فريد شافعى، العمارة العربية، ص ٤٨٦؛

K.A.C. Creswell, A Short Account of Early Moslem Architecture, Revised and Supplemented by James W. Allan, Cairo, 1977, p. 403.

(١٠) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٦٨، حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦، ص ٤٥؛ فريد شافعى،

العمارة العربية، ص ٤٨٧؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٢٦؛ العمارة

الإسلامية فى مصر منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر المملوكى، القاهرة ٢٠٠٩، ص ٥٤.

(١١) Répertoire chronologique d' épigraphie arabe, Le Caire, 1931-1991, XIII, no 5022, p. 156.

(١٢) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ٤١؛ أحمد فكرى، مساجد القاهرة و مدارسها، المدخل، القاهرة، ١٩٦١، ص

١٠٩؛ كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٠؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة

الإسلامية، ص ٥٤.

(١٣) ابن دقماق، الإنتصار، ج ٤، ص ٦٨؛ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩؛ فريد شافعى، العمارة العربية، ص

٦٥٢؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار، ص ٧٢؛ العمارة الإسلامية، ص ٢٥.

جريان الماء إلى فوارة الفسقية، وكان الماء يصل إليها من بحر النيل، لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع، بيد أنه سرعان ما أعيد جريان الماء إلى فسقية الجامع مرة ثانية، في أيام السلطان المنصور قلاوون على يد الأمير عز الدين الأفرم في سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م. من البئر التي بزقاق الأقفال.<sup>(١٤)</sup>

ونقرأ كذلك لفظة فسقية بصدد ذلك العنصر الذي كان يتوسط صحن الجامع الأزهر، إذ تروى المصادر التاريخية أنه "في شوال سنة ٨٢٧ هـ / أغسطس ١٤٢٤ م. أبتدئ بعمل الصهريج بوسط الجامع فوجد هناك آثار فسقية ماء".<sup>(١٥)</sup>

وأشارت المصادر أيضا إلى لفظة الفسقية عند الحديث عن جامع الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢١ م). فذكرت أن الفسقية بوسط صحن الجامع بناها صاحب عبد الله بن علي بن شكر، وأنه أجرى الماء إليها، فأزالها قاضى القضاة تاج الدين بن شكر في سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م.<sup>(١٦)</sup> كما تحدثت أيضا عن الفسقية التي كانت توجد في المدرسة الصالحية التي أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب ببين القصرين في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م،<sup>(١٧)</sup> وعن الفسقية التي كانت بوسط القبة الملحقة بمجموعة السلطان المنصور قلاوون التي شيدت فيما بين ٦٨٣-٦٨٤ هـ / ١٢٨٤-١٢٨٥ م، فذكرت أنه كان بالقبة قاعة جليلة في وسطها فسقية يصل إليها الماء من فوارة بديعة.<sup>(١٨)</sup>

ويفهم أيضا من وثيقة الوقف الخاصة بهذه المجموعة المعمارية انه كان بوسط صحن المدرسة فسقية أخرى فقد جاء فيها ما نصه: "ويرتب سواقا لإدارة الساقية وأجراء الماء من البئر إلى الصحن أمام إيوان القبة وإلى الفسقية التي بوسط المدرسة قرر له في كل شهر ثلاثون درهما".<sup>(١٩)</sup> ووردت لفظة فسقية كذلك في تاريخ ابن لياس عند الإشارة إلى خانقاه شيخو التي شيدها في سنة ٧٦٥ هـ / ١٣٥٥ م، فذكر "أنه في ربيع الآخر سنة ٨٠٢ هـ / ديسمبر ١٣٩٩ م خلع على نوروز الحافظى واستقر به رأس نوبة النوب وناظر الخانقاه الشيوخونية، وهو الذى عمر الفسقية الكبيرة التي في

<sup>(١٤)</sup> المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٥٢؛ ابن دقماق، الإنتصار، ج ٤، ص ٧٠؛ فريد شافعى، العمارة، ص ٦٥٢؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٢٥.

<sup>(١٥)</sup> المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٧٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٣٠-١٩٧٢، ج ٦، ص ٥٨٠؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ٥٥؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٢٩؛ العمارة الإسلامية، ص ٩٢.

<sup>(١٦)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٧٨؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٤٢؛ العمارة الإسلامية، ص ١٠٥.

<sup>(١٧)</sup> المقرئى، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٣٤-١٩٧٢، ج ٣، ص ١٦٣.

<sup>(١٨)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٨٠؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٢٣٩.

<sup>(١٩)</sup> ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٧٦-١٩٨٢، ج ١، ص ٣٤٧؛ المقرئى، السلوك، ج ١، ص ١٠٤٧، ملحق ١٧.

الخانقاه الشيخونية وعقد عليها القبة الموجودة الآن.<sup>(٢٠)</sup> وهى ذات شكل مثنى الأضلاع، ويقوم فى كل ركن من أركانها عمود رخامى ويغطيها سقف خشبى مسطح تزيينه دوائر ملونة وكانت تستمد مياهها من الساقية الكبيرة التى توجد خلف الخانقاه.<sup>(٢١)</sup> كما أشار إلى فسقية مدرسة صرغتمش التى شيدت فى سنة ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م. وجعلت وفقا على الفقهاء الحنفية.<sup>(٢٢)</sup> وهى بدورها ذات شكل مثنى الأضلاع يقوم فى كل ركن من أركانها عمود خامى، ويعلوها قبة فتح بها شبابيك ثمانية مستطيلة ويلتف حولها رفرف خشبى مشغول،<sup>(٢٣)</sup> ملئت سكرامذابا بالماء يوم افتتاح المدرسة وفقا لرواية المصادر التاريخية<sup>(٢٤)</sup> التى أطلقت أيضا لفظة فسقية على ذلك العنصر الذى يتوسط صحن مدرسة السلطان حسن التى شيدت فيما بين سنتى ٧٥٦-٧٥٧ هـ / ١٣٥٦-١٣٥٧ م.، فقد ذكر المؤرخ ابن إياس نقلا عن الصلاح الصفدى ان السلطان حسن نزل من القلعة بعد أن اكتملت عمارة المدرسة وصلى بها صلاة الجمعة، واجتمع بها قضاة القضاة الأربعة وسائر الأمراء المقدمين وهم بالشاش والقماش، وملئت الفسقية التى بصحن المدرسة سكرامذابا ليمون ووقف جماعة من السقاة يفرقون السكر على الناس بالطاسات.<sup>(٢٥)</sup> وهى ذات شكل مثنى، كانت تستمد مياهها من البئر التى تقع فى الجهة الغربية من المدرسة، ويعلوها قبة خشبية تقوم على ثمانية أعمدة، كتب بدائرها آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها فى سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ م.، كما دون عليها أيضا تاريخ آخر عمارة أجريت بها فى سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م.، وفتح فى رقبته ثمان قنذليات بسيطة يغشيها ستائر مفرغة بأشكال هندسية بديعة.<sup>(٢٦)</sup>

وتتحدث المصادر العربية أيضا عن الفسقية التى تتوسط صحن جامع المؤيد شيخ فتذكر أن السلطان نزل فى الحادى والعشرين من شوال سنة ٨٢٢ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٤١٩ م. إلى الجامع "وأمر بتهيئة السباط ... والسكر لتملا الفسقية التى بالصحن من السكر المذاب والحلوى الكثيرة ... وجلس بالقرب من الفسقية فى الصحن على تخت واستعرض الفقهاء، فقرر من وقع اختياره عليه فى الدروس. ومد السباط العظيم بأنواع المطاعم، وأمر أن تملأ الفسقية بالسكر المذاب، ووقف رعوس النوب يفرقوا السكر على الناس بالطاسات، فأكل الناس ونهبوا وارتووا من السكر المذاب وحملوا منه ومن الحلوى ما قدروا

(٢٠) ابن إياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، طبعة: محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٣، ج ١، ق ٢، ص ٥٦٤.

(٢١) عادل شريف، الميضة فى المنشآت الدينية بالقاهرة، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب - جامعة المنيا، المجلد الرابع، العدد الرابع عشر، ١٩٩٠، ص ٢٣٥.

(٢٢) وثيقة صرغتمش، أوقاف ٣١٩٥؛ المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٤؛ السلوك، ج ٣، ص ٢٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٥٥.

(٢٣) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٦١؛ عادل شريف، الميضة، ص ٢٣٦.

(٢٤) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٤؛ السلوك، ج ٣، ص ٢٨.

(٢٥) بن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٦٠؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٧٣.

(٢٦) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٦٩؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٣٠٨.

عليه<sup>(٢٧)</sup> وقد أمدنا الصيرفى بوصف لهذه الفسقية فذكر أنه فى وسط الجامع فسقية على أعمده من رخام عليها قبة عظيمة مزخرفة".<sup>(٢٨)</sup>

ويفهم كذلك من وثيقة وقف نفس الجامع ان هذه الفسقية كانت مزودة بشمان وثلاثين من الميازيب النحاسية برسم إمدادها بالماء، وأنه كان موقوفا عليها بئر وساقية لتزويدها بالمياه،<sup>(٢٩)</sup> ويفهم أيضا من رواية المقرئى أنها كانت تعرف بالبركة،<sup>(٣٠)</sup> تلك اللفظة التى نصادفها أحيانا فى المصادر المملوكية لتعنى كل من الفؤارة والفسقية ، إذ يروى المقرئى فى معرض حديثه عن جامع آق سنقر المعروف بالجامع الأزرق الذى شرع الأمير آق سنقر الناصرى فى بنائه فى ١٦ رمضان سنة ٧٤٧ هـ / ٣١ ديسمبر ١٣٤٦ م.، وافتتحه للصلاة فى يوم الجمعة ٣ ربيع الأول ٧٤٨ هـ / ١٣ يونيو ١٣٤٧ م.<sup>(٣١)</sup> أنه "لما كانت سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م.، أنشأ فى وسطه الأمير طوغان الدوادر بركة ماء وسقفها ونصب عليها عمدا من الرخام لحمل السقف، أخذها من جامع الخندق، فهدم الجامع بالخندق من أجل ذلك، وصار الماء ينقل إلى هذه البركة من ساقية الجامع التى كانت للميضأة، فلما قبض الملك المؤيد شيخ الظاهرى على طوغان فى يوم الخميس تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٨١٦ هـ / ١٤ أغسطس ١٤١٣ م. وأخرجه إلى الاسكندرية واعتقله بها، أخذ شخص الثور الذى كان يدير الساقية، فان طوغان كان أخذه منه بغير ثمن، كما هى عادة أمرائنا، فبطل الماء من البركة".<sup>(٣٢)</sup>

وينفرد المقرئى أيضا باستخدام لفظة بركة عند الحديث عن افتتاح مدرسة صرغتمش، إذ يقول أنه "مد بها فى شهر رمضان سنة ٧٥٧ هـ / سبتمبر ١٣٥٦ م. سمط جليل بالهمة المملوكية، وملئت البركة التى بها سكرًا قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيح ما بقى من ذلك للعامة فانتبهوه".<sup>(٣٣)</sup> ذلك فى الوقت الذى أجمعت فيه بقية المصادر التاريخية الأخرى ووثيقة وقف المدرسة على استخدام لفظة الفسقية للدلالة على هذا العنصر المعمارى<sup>(٣٤)</sup> كما سبق ان أشرنا من قبل.

ونصادف كذلك لفظة بركة فى رواية نفس المؤرخ عند إشارته إلى الإصلاحات التى قام بها الأمير يلبغا السالمى الأستاذار فى الجامع الأحمر إذ يقول "قلما كان شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة (أبريل ١٣٩٧ م.) جده الأمير الوزير المشير الأستاذار يلبغا بن عبد الله السالمى أحد المماليك الظاهرية

<sup>(٢٧)</sup> ابن تغرى بردى، النجوم، ج ١٤، ص ٩٠-٩١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٥.

<sup>(٢٨)</sup> الصيرفى، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٦٦.

<sup>(٢٩)</sup> فهمى عبد العليم، جامع المؤيد شيخ، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٢٠.

<sup>(٣٠)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٣١؛ السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٥٠٨-٥٠٩.

<sup>(٣١)</sup> أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٢٨١.

<sup>(٣٢)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣١٠؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية فى العصرين الأيوبي والمملوكى، القاهرة ٢٠٠٧، ص ١٨٦؛ العمارة الإسلامية، ص ٢٨٦.

<sup>(٣٣)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٤؛ السلوك، ج ٣، ص ٢٨.

<sup>(٣٤)</sup> وثيقة صرغتمش، أوقاف ٣١٩٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٥٥؛ حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٦١.

... وجدد فى صحنه بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية، وجعلها مرتفعة ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزاييز نحاس، ونصب فيه منبرا ...".<sup>(٣٥)</sup>

ويبدو أن المقرئ لم يستحسن بعض هذه الأعمال وذهب إلى الأمير يلبغا السالمى ليعاتبه عليها وسجل لنا ما دار من حديث بينهما قائلا: "فقلت له: قد أعجبني ما صنعت بهذا الجامع، ما خلا تجديد الخطبة فيه وعمل بركة الماء، فإن الخطبة غير محتاج إليها ها هنا لقرب الخطب من هذا الجامع، وبركة الماء تضيق الصحن ... "فاحتج عليه الأمير يلبغا قائلا: "أما الخطبة والمنبر فما أنا الذى أحدثته ... فهذا أمر قد كان فى الدولة الفاطمية. وأما البركة ففيها عون على الصلاة لقربها من المصلين".<sup>(٣٦)</sup> ومع ذلك فقد قام أحد نظار الجامع من الفقهاء بإبطال الماء من هذه البركة فى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م لأنه أفسد بمروره الجدار القبلى للجامع.<sup>(٣٧)</sup>

ويشير المقرئ إلى بركة أخرى عند حديثه عن انتهاء العمل فى عمارة مدرسة جمال الدين الاستادار فيذكر أنه لما "كان يوم الخميس ثالث رجب سنة ٨١١ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٤٠٨ م. انتهت عمارتها، فجمع بها الأمير جمال الدين القضاة والأعيان، وأجلس الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى على سجادة المشيخة وعمله شيخ تصوف المدرسة الشافعية، ومد سمطا جليلا، أكل عليه كل من حضر، وملأ البركة التى بوسط المدرسة ماء قد أذيب فيه سكر مزج بماء الليمون، وكان يوما مشهودا".<sup>(٣٨)</sup>

ونصادف لفظة بركة أيضا فى نص تجديد لجنة حفظ الآثار العربية لقبة وفسقية مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق، اذ يزين القبة من الداخل شريط كتابى يشمل على بضعة آيات من سورة المائدة والنص التالى: "جددت هذه البركة فى عصر الخديوى الأعظم عباس حلمى الثانى الأفخم بمباشرة لجنة حفظ الآثار"<sup>(٣٩)</sup> العربية عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف هجرية (١٨٩٦ م).

وشاعت كذلك لفظة حوض للدلالة على الفوارة أو الفسقية أو البركة التى كانت تتوسط صحن المنشأة الدينية كما يفهم من رواية المقرئ بصدد جامعى منجك اليوسفى،<sup>(٤٠)</sup> وشيخو،<sup>(٤١)</sup> الذى شيد كل منهما فى سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م. كما استخدمت لجنة حفظ الآثار العربية لفظة حوض للإشارة إلى الفسقية

<sup>(٣٥)</sup> المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠؛ السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٨٧٩؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٥٥.

<sup>(٣٦)</sup> المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠.

<sup>(٣٧)</sup> أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٥٦.

<sup>(٣٨)</sup> المقرئ، الخطط، ج ٢، ص ٤٠١؛ السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٧٨؛ وثيقة وقف جمال الدين الاستادار، دار الوثائق القومية بالقاهرة رقم ١٧/١٠٦.

<sup>(٣٩)</sup> عادل شريف، الميضأة، ص ٢٣٩؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٣٢٤.

<sup>(٤٠)</sup> المقرئ، الخطط ج ٢، ص ٣١٩.

<sup>(٤١)</sup> المقرئ، الخطط ج ٢، ص ٣١٣.

التي تم نقلها من مدرسة السلطان حسن إلى جامع الطنبغا الماردانى الذى ينسب إلى سنة ٧٤٠ هـ/ ١٣٤٠م، كما يفهم من النص المنقوش بخط النسخ على ضلعها الشمالى الذى جاء فيه: "نقلت لجنة الآثار العربية هذا الحوض والقبه علوه/ من جامع السلطان حسن إلى هذا الجامع فى عصر خديو/ مصر عباس حلمى الثانى أطال الله أيامه وذلك فى/ سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية ( ١٨٨٩ م )".<sup>(٢٢)</sup>

وتضم المصادر والوثائق المملوكية لفظة بحرة أيضا التى تشير بدورها إلى الفوارة أو الفسقية أو البركة أو الحوض الذى كان يتوسط صحن المباني الدينية والمدنية على حد سواء. والبحرة هى مفرد 'بحر وبحار وبحرات' وتعد من الألفاظ الشائعة لدى أهل الشام فى اللغة المكتوبة والمحكية،<sup>(٢٣)</sup> وقد وردت فى الوثيقة الخاصة بوقف مدرسة السلطان حسن المؤرخة فى رجب سنة ٧٦٠ هـ/ يونيو ١٣٥٩م. للدلالة على الفسقية التى كانت تتوسط صحن هذه المدرسة، وصحن المدارس الفرعية المخصصة للمذاهب الأربعة الملحقة بنفس المدرسة، لتلطيف حرارة الجو فى أيام الصيف.<sup>(٢٤)</sup>

من هذا العرض يتضح لنا أن الفسقية وغيرها من المرادفات كانت تقام دائما فى وسط صحن المنشأة الدينية وأن حجمها كان يختلف حسب مسطح الصحن، وكانت تشيد عادة من الطوب الذى كسى من الداخل والخارج بالرخام الملون، وكانت الأرضية حول الحوض ترتفع بمقدار درجة واحدة عن مستوى أرضية صحن المنشأة الدينية، ويدور حول الحوض سلسال غاطس، أى قناة لصرف المياه حول حوض الفسقية، وكان يغطيها عادة قبة خشبية مزودة بعدة نوافذ، وترتكز على مجموعة من الأعمدة الرخامية.<sup>(٢٥)</sup> وكان الهدف الأساسى من إقامتها الزينة،<sup>(٢٦)</sup> وتلطيف حرارة الجو صيفا، ولتملاأ أحيانا بالسكر المذاب بماء الليمون فى يوم الاحتفال بنهاية الأعمال المعمارية فى المنشأة وإقامة الصلاة فيها مثلما حدث عند الاحتفال بافتتاح مدرسة صرغتمش ومدرسة السلطان حسن، ومدرسة الظاهر برقوق، ومدرسة جمال الدين الاستادار وجامع المؤيد شيخ، أى للشرب كما ورد صراحة فى إحدى الوثائق المملوكية بصدد مدرسة دارسة " ... الفسقية التى بدور قاعتها للشرب".<sup>(٢٧)</sup> كما خصصت أيضا للصبيان لأداء صلاة الجمعة فيها مثلما حدث فى جامع أحمد بن طولون، هذا فضلا عن استخدام مائها فى بعض الأوقات للاغتسال والوضوء حسبما يفهم من بعض النصوص والوثائق التاريخية. فقد أشارت المصادر المملوكية إلى وفاة شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود البعلبكي، المعروف بابن المجير الموسوى فى سلخ صفر سنة ٧٦ هـ/ ٨ يناير ١٣٦١م، وذكرت "أنه كان قد أبتلى فى الوسواس بأمر

<sup>(٢٢)</sup> حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٥١؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٢٧٧.

<sup>(٢٣)</sup> عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٧٨؛ محمد محمد أمين، المصطلحات، ص ٢٠.

<sup>(٢٤)</sup> ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٣٨٧-٣٩١.

<sup>(٢٥)</sup> صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي فى مصر، بيروت ١٩٧٥، ص ٤٤.

<sup>(٢٦)</sup> K. A. C. Creswell, Early Moslem Architecture, London, 1958, p. 304.

<sup>(٢٧)</sup> محمد محمد أمين و ليلي علي إبراهيم، المصطلحات، ص ٨٥.

شديد حتى أنه كان إذا توضأ من فسقية المدرسة الصالحية ببين القصرين، لا يزال به وسواسه إلى أن يلقى نفسه فى الماء بتيابه ويغطس شتاء وصيفا، زعما منه أنه لا يسبغ الوضوء ما لم يفعل ذلك.<sup>(٤٨)</sup>

ويفهم أيضا من المقرئ أن البركة اللطيفة التى جدها الأمير يلغا السالمى الأستاذار بصحن الجامع الأحمر فى رجب سنة ٧٩٩ هـ/ إبريل ١٣٩٧م، كانت مرتفعة، ينزل منها الماء إلى من يتوضأ من بزاييز نحاس، وأنه جعلها عونا على الصلاة لقربها من المصلين، كما أشرنا من قبل.

وتكشف وثيقة وقف جامع المؤيد شيخ بدورها عن أن فسقية الجامع كانت "معدة لما يتحصل فيها من الماء الواصل إليها برسم الوضوء خاصة"<sup>(٤٩)</sup>، مثلما كان الحال بالنسبة لفسقية جامع الأشرف برسباى بسرياقوس "وأما الفسقية فان وقفها ينتفع بها فى الوضوء".<sup>(٥٠)</sup>

ويستشف كذلك من النصوص القرآنية، الآية رقم ٦ من سورة المائدة "يأيتها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين....."، المنقوشة بدائر القبة التى تعلو فوارة جامع أحمد ابن طولون،<sup>(٥١)</sup> وتلك التى تغطى فسقية المدرسة الظاهرية برقوق، أنها تشير صراحة إلى الوضوء.<sup>(٥٢)</sup>

ويجب ألا ننسى أيضا ما جاء فى كتب الفقه الإسلامى عن جواز الوضوء من الفساقى الموضوعه بالمساجد والمدارس وغيرها من المنشآت الدينية، الأمر الذى حرمه البعض لنجاسة الماء، وأجازه البعض الآخر مثل الفقيه زين العابدين،<sup>(٥٣)</sup> وقاضى خان،<sup>(٥٤)</sup> وابن نجيم المصرى فى رسالته بعنوان "الخير الباقي فى جواز الوضوء من الفساقى" التى انتهت منها من أوسط شهر ربيع الأول سنة ٩٥١ هـ/ ٦ يونيو ١٥٤٤م.<sup>(٥٥)</sup> كل ذلك عاون على حدوث الخلط واللبس بين مفهوم كل من الفسقية ومرادفاتها والميضأة.

وساعد على هذا اللبس والخلط بل وساعد على شيوعه وانتشاره بين الباحثين فى مجال الآثار الإسلامية وغيرهم، أن فساقى بعض المنشآت الدينية تم تحويلها فى عصور لاحقة إلى أماكن للوضوء، وذلك عن طريق إمدادها بمجموعة من الأنابيب المعدنية المزودة بصنابير للمياه، كما حدث فى البركة التى تم نقلها من مدرسة السلطان حسن إلى جامع الطنبغا الماردانى، وكما حدث فى فسقية مدرسة السلطان حسن،

<sup>(٤٨)</sup> المقرئ، السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١١، ص ١١.

<sup>(٤٩)</sup> فهمى عبد العليم، جامع المؤيد، ص ١٢٠.

<sup>(٥٠)</sup> أحمد دراج، حجة وقف الأشرف برسباى، القاهرة ١٩٦٣، ص ١٤.

<sup>(٥١)</sup> حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ٤٢؛ فريد شافعى، العمارة العربية، ص ٤٨٧؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ١٢٧؛ العمارة الإسلامية، ص ٥٤.

<sup>(٥٢)</sup> أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٣٢٤.

<sup>(٥٣)</sup> زين العابدين، حاشية زين العابدين، القاهرة (بدون تاريخ).

<sup>(٥٤)</sup> قاضى خان، فتاوى قاضى خان، مخطوط محفوظ بمكتبة الأزهر، تحت رقم ٢٠٢٠.

<sup>(٥٥)</sup> ابن نجيم المصرى، الخير الباقي فى جواز الوضوء من الفساقى، مخطوط محفوظ بمكتبة الأزهر تحت رقم ١٧٨.



وفسقية جامع المؤيد شيخ، الأمر الذى أفضى بدوره إلى مزيد من اللبس والخلط بين مفهوم وظيفة كل من الفسقية ومرادفاتها وبين الميضة التى كانت تمثل بدورها عنصرا هاما من عناصر العمانر الدينية، حيث عرفت أيضا فى الكتب الفقهية، وفى قواميس اللغة، وفى الوثائق الأثرية باسم المطهرة،<sup>(٥٦)</sup> التى تعنى لغويا الإثناء الذى يتوضأ به مثل الركوة والابريق،<sup>(٥٧)</sup> كما تعنى أيضا المكان المخصص للاغتسال والوضوء، وكانت تشيد عادة خارج المنشآت الدينية أو إلى جوارها لما فيها من النجاسات لاحتوائها على بيوت خلاء، أى على مراحيض، وعلى مقاعد حجرية، وعلى أنابيب وقنوات ونوافير وفساقى لحمل الماء إلى المصلين ليقوموا بفريضة الوضوء<sup>(٥٨)</sup> كما يفهم من الوثائق وأقوال المؤرخين، وكان يراعى عادة فى اختيار موقعها، الظروف المناخية السائدة مثل اتجاه الريح والشمس والتهوية، وذلك لسحب الروائح الكريهة خارج المبنى لا سيما وأن بعض فضلات خزانات المراحيض كانت لا تسحب منها، بل تترك لتتحل وتتسرب داخل التربة، مثلما كان الحال فى ميضة خانقاه فرج بن برقوق، وكان يراعى أيضا تشييدها على مستوى أقل ارتفاعا من مستوى أرضية المنشأة الدينية.<sup>(٥٩)</sup>

نقول أنه حدث خلط بين مفهوم الفسقية ومرادفاتها وبين الميضة، مما جعل بعض الباحثين يطلقون على الفسقية خطأ لفظة ميضة كما فعل عالم الكتابات الأثرية المستشرق السويسرى ماكس فان برشم *Max Van Berchem*، الذى أطلق لفظة ميضة *Mida* أو *bassin aux ablutions* على فسقية جامع أحمد بن طولون،<sup>(٦٠)</sup> ووقع فى نفس الخطأ أيضا عالم العمارة الإسلامية المرحوم فريد شافعى، الذى نعت هذه الفواره بالميضة فى أكثر من موضع فى كتابه عن العمارة العربية فى مصر فى عصر الولاة،<sup>(٦١)</sup> بل وكتب تحت عنوان الميضة ما نصه: "وكانت المساجد الأولى تزود بميضة من حوض، وأحيانا بنوع من الأنابيب أو القنوات تحمل الماء إلى المصلين ليقوموا بفريضة الوضوء. ولم تصلنا بقايا من تلك الأنواع ترجع إلى القرون الأولى للإسلام، ويبدو أنها لم تكن تحظى بعناية التصميم أو البناء، فسرعان ما كان يتطرق إليها الخراب بسبب جريان الماء فيها، وتسرب الرطوبة إليها"، وذكر أيضا أنه "يفهم من أقوال المؤرخين أن تلك الوحدة، أى الميضة، كانت توضع فى مكان يلحق بالمسجد أو المدرسة، وبقي الأمر كذلك إلى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، عندما عنى بالميضة، وخاصة فى مصر، فوضع بعضها فى وسط الصحن المكشوف، واكتسب أهمية معمارية وزخرفية، وذلك

(٥٦) ابن منظور، لسان العرب؛ المتقى الهندى، كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال؛ صالح لمعى مصطفى، التراث المعمارى، ص ٤٢؛ محمد محمد أمين و إيلي علي إبراهيم، المصطلحات، ص ٧٧؛ محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، القاهرة (بدون تاريخ)، ج ١، ص ٥٨.

(٥٧) صحيح مسلم، كتاب الطهارة؛ ابن كثير، البداية والنهاية فى التاريخ، القاهرة ١٩٣٩، ج ٦، ص ٩٣؛ صالح لمعى مصطفى، التراث المعمارى، ص ٤٣.

(٥٨) عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص ٤١٣-٤١٤.

(٥٩) عادل شريف، الميضة، ص ٢٢٨؛ أحمد عبد الرزاق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٣٣٩.

(٦٠) *Max Van Berchem, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum, Egypte, I, Paris, 1903, p. 37.*

(٦١) فريد شافعى، العمارة العربية، ص ٢٣٠، ٤٨٦، ٤٨٧.

عندما زادت عناية المعماريين بتصميمها وزخرفتها<sup>(٦٢)</sup> وذلك على الرغم من تأكيده فى مكان آخر من نفس الكتاب "أن فوارة جامع أحمد بن طولون، لم تكن مستخدمة للوضوء، بل كانت الميضأة القديمة تقوم فى الزيادة الشمالية الغربية بجوار المئذنة، وذلك محافظة على جدران المسجد من أن تضار من جريان الماء إذا عملت بداخله"<sup>(٦٣)</sup> حيث سار هنا على درب أستاذه عالم العمارة الإسلامية البريطانى كريستوف الذى سبق له من قبل أن ذكر صراحة عند إشارته إلى احتراق فوارة الجامع الطولونى فى سنة ٣٧٦ هـ/ ٩٨٦م. "أنها لم تكن مكانا للوضوء"<sup>(٦٤)</sup> مما يعنى ببساطة شديدة أن أستاذنا الفاضل رحمه الله قد خلط بوضوح تام بين مفهوم ومعنى كل من الفسقية والميضأة، وقد سار على دربه باحثين كثير نذكر منهم على سبيل المثال الزميل عادل شريف الذى نشر فى عام ١٩٩٠ بحثا بعنوان "الميضأة فى المنشآت الدينية بالقاهرة" فى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة المنيا، تناول فيه بالوصف الموجز أحد عشر نموذجا لفوارة وفسقية وبركة وحوض وبحرة فى بعض المنشآت الدينية بمدينة القاهرة، أطلق عليها جميعا لفظة ميضأة<sup>(٦٥)</sup> رغم أن أى منها لم ترد تحت هذا المسمى فى أى من المصادر التاريخية، ولا فى أى من الوثائق الأثرية، بل وردت تحت المسمى الحقيقى لكل منها، الأمر الذى يشير بدوره إلى عدم وضوح المعنى والمفهوم الحقيقى لديه عن كل من الفسقية والميضأة، لا سيما وأن جميع المنشآت الدينية التى أشار إليها كانت تضم فى آن واحد، فسقية وميضأة. فجامع أحمد بن طولون يتوسط صحنه فوارة، وأضيفت إليه ميضأة فى الزيادة الشمالية الغربية، بجوار المئذنة، كما سبق أن نوهنا من قبل، تعد الأولى من نوعها فى عمارة مصر الإسلامية الدينية<sup>(٦٦)</sup> والجامع الأزهر كان يتوسط صحنه فسقية، وعملت له ميضأة كانت تشغل فى أول الأمر مكان المدرسة الأقباقوية على حد تعبير المقرئى، وظلت هناك إلى أن بنى الأمير أقبغا من عبد الواحد مدرسته الحالية فيما بين سنتى ٧٣٤-٧٤٠ هـ/ ١٣٣٣-١٣٤٠م.، فبنى الأمير جنكل بن البابا ميضأة أخرى بدلا منها، ثم زيد فيها بعد سنة ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م. ميضأة المدرسة الاقباقوية، لتغلب بعض الأمراء بمواطأة بعض النظار على بئر الساقية التى كانت برسمها<sup>(٦٧)</sup>.

وفهم من المصادر العربية أيضا أن جامع الحاكم بأمر الله الفاطمى، كان يتوسط صحنه فسقية شيدها الصاحب عبد الله بن على بن شكر، وأجرى الماء إليها فى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م.، وإن ميضأة هذا الجامع كانت فى بادئ الأمر صغيرة، على حد تعبير المقرئى، وأنها كانت توجد على أيامه أى فى

(٦٢) فريد شافعى، العمارة العربية، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٦٣) فريد شافعى، العمارة العربية، ص ٤٨٦.

(٦٤) K.A.C. Creswell, A Short Account, p. 403.

(٦٥) عادل شريف، الميضأة، ص ٢٢٨-٢٤١.

(٦٦) صالح لمعى مصطفى، التراث المعماري، ص ٤٢؛ K.A.C. Creswell, Early Moslem, I, p 247. ووقع فى نفس الخلط أيضا الباحث محمود عبد الباسط فى رسالته لدرجة الماجستير حيث أطلق على فوارة الجامع الطولونى لفظة ميضأة، أنظر النافورات والفاسقى فى منازل ومساجد القاهرة منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر العثمانى، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٢٣.

(٦٧) المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٧٦؛ K.A.C. Creswell, Moslem Architecture I, p. 38.

القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، "فيما بينها وبين باب الجامع، وموضعها الآن مخزن تعلوه طبقة عمرها شخص من الباعة يعرف بابن كرسون المراحلى". وأضاف أيضا أن هذه الميضاة الموجودة الآن أحدثت، وأنشأ الفسقية التى فيها ابن كرسون فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة (١٣٧٩م).<sup>(٦٨)</sup>

وتتحدث المصادر كذلك عن البركة التى أضافها الأمير يلبغا السالمى الأستاذار إلى صحن الجامع الأقمى فى سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧م، ولم تكن هناك حاجة إليها لوجود ميضاة للجامع بجوار بابه الذى من جهة الركن المخلق".<sup>(٦٩)</sup>

وفهم أيضا من وثيقة وقف مجموعة المنصور قلاوون أنها كانت تضم فسقية وميضاة، فقد ورد فى هذه الوثيقة ما نصه: "يرتب سواقا لإدارة الساقية وإجراء الماء من البئر إلى الصحن أمام إيوان القبة والى الفسقية التى بوسط المدرسة، وإلى الميضاة التى بالمدرسة".<sup>(٧٠)</sup>

وقد حددت لنا وثيقة الوقف المؤرخة فى ١٢ صفر ٦٨٥ هـ / ٩ إبريل ١٢٨٦م. مكان هذه الميضاة فذكرت ما نصه بصدد المدرسة المنصورية: "الباب البحرى ينتهى إلى الميضاة الموسومة للمدرسة للمنصورية".<sup>(٧١)</sup>

كما أشارت فى مكان آخر ".... والحد الشرقى ينتهى إلى المدرسة المنصورية عمرها الله بذكره، وفيه باب سر المدرسة المذكورة، وإلى ميضاة المدرسة المنصورية..." وجاء فيها كذلك عند الحديث عن الليمارستان "... ويحيط بذلك حدود أربعة، الحد القبلى ينتهى إلى الميضاة الموسومة للمدرسة".<sup>(٧٢)</sup>

ولا ننسى كذلك الفسقية التى تحتل وسط صحن مدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون التى شيدت فيما بين سنتى ٦٩٥-٧٠٣ هـ / ١٢٩٥-١٣٠٤م، وتضم بدورها ميضاة خلف الإيوان الغربى للمدرسة.

ويشير المقرئى أيضا إلى البركة التى أضافها الأمير طوغان الدوادر إلى صحن جامع آق سنقر، المعروف بالجامع الأزرق، كما سبق أن أشرنا من قبل، وإن الماء صار ينقل إليها من ساقية الجامع التى كانت للميضاة.<sup>(٧٣)</sup> وهذا يعنى بدوره أنه صار للجامع المذكور بركة وميضاة فى آن واحد، مثلما كان الحال فى مدرسة صرغتمش التى كانت تضم أيضا بركة وميضاة،<sup>(٧٤)</sup> شأنها شأن مدرسة السلطان حسن

<sup>(٦٨)</sup> المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٨٠.

<sup>(٦٩)</sup> المقرئى، الخطط، ج٢، ص ٢٩٠.

<sup>(٧٠)</sup> المقرئى، السلوك، ج ١، ص ١٠٤٧، ملحق ١٧.

<sup>(٧١)</sup> ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ١، ص ٣٤٧.

<sup>(٧٢)</sup> ابن حبيب، تذكرة النبى، ج ١، ص ٣٤٩.

<sup>(٧٣)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣١٠.

<sup>(٧٤)</sup> وثيقة وقف صرغتمش، أوقاف رقم ٣١٩٥.

التي كانت تضم ما يقرب من خمس فساقي أو بحر، بالإضافة إلى الميضأة الرئيسية التي كانت تتوسط مجموعة الأبنية الفرعية، وتنخفض عن أرضية المدرسة بما يقرب من ستة أمتار ونصف، وتقع خلف الدركاء والإيوان الغربى،<sup>(٧٥)</sup> وكان مخصصا لتنظيفها وكس مراحضها شخصين وفقا لما جاء فى وثيقة وقف المدرسة المؤرخة فى رجب سنة ٧٦٠ هـ / يونيو ١٣٥٩ م.<sup>(٧٦)</sup>

وعلىنا أن نتذكر أيضا أن خانقاه فرج بن برقوق التي انتهت عمارتها فى سنة ٨١٣ هـ / ١٤١١ م.، كانت تضم فسقية فى وسط صحن الخانقاه، ومطهرة أى ميضأة فى جنوب المنشأة مراعاة للظروف المناخية حتى يمكن سحب الروائح الكريهة خارج مبنى الخانقاه.<sup>(٧٧)</sup>

وجاء فى المصادر المملوكية عند الإشارة إلى جامع المؤيد شيخ أنه فى خامس رمضان سنة ٨٢٠ هـ / ١٧ أكتوبر ١٤١٧ م. "هدمت الأماكن اللازمة لبناء الميضأة بشارع تحت الربع، وضاع فيها وفى الحد القبلى للجامع، سور القاهرة الفاطمية، وتمت عمارتها فى شوال".<sup>(٧٨)</sup> مما يعنى أنه كان بالجامع فسقية فى وسط صحن، وميضأة خارجه بشارع تحت الربع، الأمر الذى أكدته أيضا وثيقة وقف الجامع، إذ جاء فيها "... وأما البئر والساقية ... فإنه وقف ذلك بسبب جريان الماء إلى الفسقية التي فى صحن الجامع المذكور وإلى الميضأة، وإلى بيوت الميضأة المذكورة".<sup>(٧٩)</sup>

كما جاء فيها كذلك "... وأما الميضأة المذكورة فإنه وقفها لينتفع الناس بها بسبب قضاء حاجة الإنسان". ويفهم من الوثيقة أيضا أنه كان للميضأة وبيوتها رجل واحد يصرف له فى كل شهر ما مبلغه من الفضة الأنصاف، ثلاثون نصفًا، وذلك فى مقابل إصلاح أحوال وتنظيف الميضأة وإزالة ما بها من قذارة، والخدمة الجارى بها العادة".<sup>(٨٠)</sup>

وتكشف لنا حجة وقف السلطان الأشرف برسباى على جامعة بسرياقوس المؤرخة فى ٢٤ رجب سنة ٨٤١ هـ / ٢٠ يناير ١٣٣٨ م. من جهة أخرى عن وجود فسقية فى وسط الصحن وميضأة إلى جواره كان يتم تزويدهما بالمياه من بئر مُعِين،<sup>(٨١)</sup> وأنه "كان يصرف لرجل فراش يتولى كنس الميضأة المنسوبة للجامع المذكور وخلأوى الطهارة ... فى كل شهر من شهور الأهلة ما مبلغه من الفضة الأشرفية

<sup>(٧٥)</sup> حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد، ص ١٧٦.

<sup>(٧٦)</sup> وثيقة وقف السلطان حسن، أوقاف رقم ٨٨١؛ أحمد عبد الرازق أحمد، العمارة الإسلامية، ص ٣١٠.

<sup>(٧٧)</sup> أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وأثار مصر الإسلامية فى العصرين الأيوبي والمملوكي، ص ٢٣١؛ العمارة الإسلامية، ص ٣٣٩.

<sup>(٧٨)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٩؛ السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٤٢٣؛ الصيرفى، نزهة النفوس، ج ٢، ص ٣٩٧.

<sup>(٧٩)</sup> فهمى عبد العليم، جامع المؤيد، ص ١٢١.

<sup>(٨٠)</sup> فهمى عبد العليم، جامع المؤيد، ص ١٢١، ١٤٨.

<sup>(٨١)</sup> أحمد دراج، حجة وقف الأشرف برسباى، ص ٦٣.

والمؤيدية خمسة عشر درهما نصفها سبعة دراهم ونصف وزننا بصنج الفضة، وفى اليوم ثلاثة أرتال من الخبز البر....".<sup>(٨٢)</sup>

خلاصة القول أن طبيعة ووظيفة الميضأة فى العمائر الدينية، كانت تختلف تماما عن طبيعة ووظيفة الفسقية ومرادفاتها من فوارة وبركة وحوض وبحرة، لذلك كان يتم غالبا بناء الميضأة خارج المنشآت الدينية فى مكان أقل ارتفاعا عن مستوى أرضية المنشأة لما فيها من النجاسات وبعيدا عن اتجاه الرياح الشمالية الشرقية والشمالية الغربية لسحب الروائح الكريهة خارج المبنى، وحسبنا دليلا على ذلك عبارة أحمد بن طولون بصدد جامعته المشهور الذى قيل أنه لم يكن به ميضأة فى أول الأمر، فلما نمت إلى علمه قول أحدهم أنه ليست به ميضأة قال عبارته المشهورة "أما الميضأة فإنى نظرت فوجدت ما يكون بها من النجاسات فطهرته منها، وها أنا أبينها خلفه، ثم أمر ببنائها".<sup>(٨٣)</sup>

<sup>(٨٢)</sup> أحمد دراج، حجة وقف الأشرف برسباى، ص ٣١.

<sup>(٨٣)</sup> المقرئى، الخطط، ج ٢، ص ٢٦٦؛ السيوطى، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٢٧هـ، ج ١، ص ٢٩٨؛ أحمد عبد الرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر، ص ١٢٧؛ العمارة الإسلامية، ص ٥٤.

## اللوحات



اللوحة رقم (١). فوارة أو فسقية السلطان لاجين بجامع أحمد بن طولون



اللوحة رقم (٢) فوارة جامع عمرو بن العاص



اللوحة رقم (٣) الفسقية المستحدثة بجامع الحاكم بأمر الله



اللوحة رقم (٤) الفسقية المستحدثة لمدرسة المنصور قلاوون





اللوحة رقم (٥) فسقية أو بركة مدرسة صرغتمش



اللوحة رقم (٦) فسقية أو بحرة مدرسة السلطان حسن





اللوحة رقم (٧) فسقية أو بركة مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق



اللوحة رقم (٨) فسقية جامع المؤيد شيخ



اللوحة رقم (٩) بقايا بركة طوغان الدوادار بجامع آق سنقر



اللوحة رقم (١٠) بركة مدرسة جمال الدين الأستاذدار



اللوحة رقم (١١) حوض جامع منجك اليوسفي



اللوحة رقم (١٢) حوض مسجد الطنبغا المارداني المنقول من مدرسة السلطان حسن





اللوحة رقم (١٣) بقايا ميضأة مدرسة السلطان حسن



اللوحة رقم (١٤) بقايا ميضأة خانقاه فرج بن برقوق